

رحمة السماء . .

واحدة ، وأغنياء يبتزون الأموال ويكثرونها وإن هلك الفقراء فاقة وجوعاً ، غير مصفين لقوله وسعت رحمته وويل لكل همزة لمزة ، الذي جمع مالا وعدده ، ومغرورون ينظرون إلى الناس بمنظار الساخر المستهزئ ، غير عابئين بقوله سميت رفعتهم ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحاً ، ومجرمون يهبطون ويقلقون راحة الآمنين وإن كان مجال الرزق أمامهم واسعاً ، غير مستمعين لقول الخالق ، إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

هذه صورة للحياة التي ودعها ذلك الموكب غير آسف عليها . . أسرة سلبت حقوقها ، فتحوط من عائلة متوسطة الحال إلى هياكل وأشباح تدب ديب النمل في سكوت الليل الرهيب ، باحثة عن قوتها ولقمة عيشها . . لفظتها المدينة إلى أفقر حي فيها تمانى البؤس في أبشع صوره ، معتمده على بعض إحسان المحسنين الذين قل من ينفق منهم رثاء للناس ولا يتبع إنفاقه منا ولا أذى . . ويكني أن تعرف من نكد الدنيا على هذه الأسرة البائسة أن أكبر أبنائها وساعدها الأيمن قضى وقتاً طويلاً من حياته في ظلام السجون ثم أفرج عنه ليسخره أصحاب الديون في ركوب البحار حتى لفظ آخر أنفاسه بين أمواج المحيط .

هذه هي أسرة البؤس وضحية الظلم ، عاشت كمتعيش مئات من الأسر في عالم المجهول والنسيان ، ماتت عائلها ومناطق أملها وبقيت أختها ، المصدر الوحيد لرزقهم ، لا تعرف الراحة ولا تذوق طعمي لحياتها الزوجية . ويوماً واحداً تستريح فيه من متاعب الخدمة معناه أن تظل هي وأميها العجوز والدها الكهل خاوي البطون طول يومهم ، وهذا شرط من شروط الطبقة الأرستقراطية التي تملئها على خدمهم . . .

مكثت شهوراً على هذه الحالة الشاقة المضنية استسلمت بعدها مرغمة لآلام الحمل ، ومرت عليها الشهور المعتادة للوضع ولكنها لم تلد ، وبدا من الأمراض التي ظهرت

إن العزلة بالصاحبي ، وإن كانت مرهقة للنفس حيناً ، إلا أنها مريحة للفكر والقلب أحياناً ، سواء أكانت للراحة من عناء العمل ، أو للتأمل في هذا الكون الغريب . . . وإذا لم يقدر لنا مشاركة بعض الناس مشاركة فعلية في معيشتهم اليومية فلا أقل من أن نتقل إلى أجوائهم التي يعيشون فيها ، لأننا في حاجة إلى نوع من الشفقة ، في هذا العصر العجيب . . خلوة بنفسك تستريح فيها من متاعب الحياة وتنتج فيها بكل جوارحك إلى السماء تحس بأنك تشغل فراغاً غير فراغنا هذا . . فراغ تشعر ، في وحشته أو أنسه ، على حد سواء ، بأنك البائسين تستحوذ على قلبك بعدما ذهب معظمها أدراج الرياح . . فراغ تشعر فيه بآهات المعوزين تستقر في قرارة نفسك بعد ما تلاشى جملها وسط هذا الضجيج الصاخب . . فراغ تلمس فيه شكوى المظلومين تملك عليك أحاسيسك بعدما صمت دونها الاسماع فراغ تشعر فيه بالمرآة والحسرة من حالة أمثال هذه الكتل البشرية التي تمش على هامش الحياة والتي تمر مواكبها أمام أعيننا في لمح البصر كأنها لم توجد قط ، أو وجدت في العدم لتعيش في العدم . وبجانب هذا الشعور المؤلم الذي يبعث فينا أقوام قدرت لهم حياة الكفاف والعفاف يحس الإنسان بشعور لا يقل في إيلاؤه عن سابقه ، يثيرة فينا السخط الذي يبعث أولئك الذين تربعوا على عروش الظلم والاستبداد وأباحوا لأنفسهم ما حرم الله . . .

ويقيني أنك شاهدت موكباً من هذه الموكب يتحرك إلى عالمه الآخر ، موكب يسير فتتمثل فيه مأساة أخذت مناظرها من مجاهل الحياة ، ومثلت خلف الستائر ، أو أمام جمهور أعمى البصر والبصيرة ، وقام بالتثليل أشخاص عاشوا وفنوا في عالم اللاوجود . . موكب ليس من نسج الخيال ولكنه من صميم الواقع . . وقد فارق هذا الموكب الحياة حيث لا بد له من فراقها ، إن عاجلاً أو آجلاً ، إذ لم يعد له مكان في هذه الدنيا التي أصبح القول الفصل فيها لصاحب الطول والحول بعد ما تخلى عن صفاته الإنسانية النبيلة . . قوى يسعى للسيطرة على الضعيف ، ولا يخشى قول القادر العظيم ، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس

عليها أن الأعمال التي قامت بها كانت فوق طاقتها
وقدرتها مما سبب لها هذا العسر .

وفي ليلة ، جاءها المخاض ، وأخذت تعاني من آلام
الولادة مامر مذاقها .. ومرت عليها ساعات وساعات
تحول خلالها الأنين إلى عويل والأمل إلى يأس ،
والفرح إلى حزن .. وبالقرب منها أمها تتلو عليها
من آيات الله الكريمة ، ولعل هذا هو الدواء الوحيد
الذي تستطيع الحصول عليه لابتها العيلة من غير
أن تبسط يد الاستجداء والاستعطاف . ولما
أظلمت الدنيا في عينها ، وأوصدت الأرض جميع
أبواب الرحمة في وجهها ، وحينما بان لها أن ليس
لها من الحياة إلا آلامها شخصت بصرها إلى السماء
مبتلة إلى ربها بعاجل الشفاء لوحيدتها .. وراح
الجميع يتربص ساعة الفرج بفارغ الصبر ، وأصبحت
الدموع والأحزان عزاءهم الوحيد بعد ماعز العزاء
حتى أشفقت السماء عليهم ، واستجابت لدعاء الداعين
لهم بالراحة والخلاص ...

... وفاضت روح المريضة إلى ربها ، وكان من
الطبيعي أن يكون مصير الابن مصير الأم ...
بكت عليها أمها ، وهي وإن لم يكن البكاء لديها
جديداً ، إلا أنها بكت على الرغم منها بكاء الشكلى ،
وهي لا تدري لماذا تبكي للحنن أم للفرح ؟.. لأن
أعباء الحياة خفت عنها إلى الأبد ، استغفر الله ..
أم لأن السماء أراحهم من آلام هذا الوجود
ومتابعه ، لأدري ولربما كان هذان العاملان هما
اللذان استدرا دمعا فبكت هذا البكاء المرير حتى
ابيضت عيناها وخارت قواها .. كانت تبكي حزناً
لأنها تستجيب لغريزة الأمومة ، وهي تبكي فرحاً
لأن إيمانها قوى بمشيئة الله وإرادته ، وأملها كبير في
أن يجيب دعوتها ، اللهم اجعل لنا من هذه الأرواح
البرينة شفيعاً في الآخرة بعد ماحرمتنا الشفاعة في
الدنيا ...

برسيف محمد السابحي

اطلبوا مصحف طبع

مطبعة دارالتأليف ٨ شارع يعقوب بصر

خواتم طفلة

نخشى أن تتسرب إلينا فكرة الكم لا الكيف أو المظهر
لا المخبر فإن لدينا أسماً مختلفه ، وكلها تعالج مشا كل اجتماعية
خطيرة ، لكن الإنسان - كما قيل - يطالب بالحرية عندما
يتذوق طعم الحرية ويطالب بالإصلاح عندما يرى الإصلاح .
وعندما تفقد هذه المميزات تراه لا يحرك ساكناً لأنه لم
يتذوق طعم إحداها .

مررت أحد الأيام بالمستشفى الجديد مشرفاً على البحر
بهندسته الجميلة على شكله الأندلسي والأفريقي ، بهر الناظر
حسن منظره ، تتقدمه ساحة منبسطة تنتهي بالساحل الذهبي
الجميل ، ويفكر من يقوم بإدارة هذا المستشفى الجميل بأن
يجوز تجهيزاً ممتازاً يجعله الوحيد في الخليج ..

وقد كان معي والدي فسألته عن هذا المبنى الفخم فقال :
« إنه المستشفى ، فبعد افتتاحه تنتهي مشكلة تضخم المرضى
عند أبواب مستشفياتنا القديمة الراهنة وسوف يتيسر العلاج فيه
على أحدث الطرق وستقاوم إدارة الصحة الفكرة الراسخة
عند بعض الناس : « سيف من خشب في جراب من ذهب ! »
وسيفتح فيه فرع للولادة فبعد اليوم لا يتيم أطفال من
أمهاتهم ولا تحزن أمهات على أطفالهن إلا ما كتب الله .
وسوف ترتاح مولدتنا الوحيدة من المسكاردة للتوليد ،
وتكون أختك أو أخوك القادم أحسن حظاً منك لأنك
قاسيت في ولادتك العسر وأشرقت على الاختناق وكدت
أن تودي بأملك إلى الهلاك ، وقد حاولنا عمل المستحيل
لإحضار المولدة الوحيدة لعمل اللازم لك ولكننا فشلنا
إذ المولدة محجوزة لأطفال قبلك بالعشرات ، والتوليد على
نظام الأول فالأول .. فاضطررنا والحالة هذه إلى « أم
عباس » فجاءتنا بأوامرها ونواهيها ومعلوماتها الموروثة
والمكتسبة ، ولكنك خرجت أخيراً بمشيئة الله ، لا حول
لها في خروجك ولا طول ، غير قطع السرة وتطعيمك
الدهن العداني ، غير عابئة بما أصابك من عسر هضم ومتاعب ،
بعد سماعي لحديث والدي أيقنت أننا في أمس الحاجة
إلى مستشفى للولادة تتناوب فيه ما لا يقل عن ثمان من
المولدات تحت أمرة طبيبتين أو طبيبتين حاذقين .. وبعد ،
فلينأ الأطفال الذين لا يزالون في الركاب ..
« طبق الأصل » ، ابتسام عبد الله عبد اللطيف